قوائم المحتويات متاحة على المجلات الأكاديمية العراقية
مجلة البحوث والدراسات الإسلامية
الصفحة الرئيسية للمجلة: https: //djisrs.dws.gov.iq

ملامح نظرية التزكية في شرح محمد سعيد رمضان البوطي للحكم العطائية
(دراسة تحليلية نقدية)

Features of the theory of purification in Muhammad Saeed Ramadan al-Buti's explanation of al-Hikam al-Ata'iyya
(An analytical and critical study)

أ.م.د. أبو بكر موفق أحمد*
كلية الإمام الأعظم الجامعة – قسم الدعوة والفكر – نينوى

Keywords

al-Bouti, al-Hikam al-'Ata'iyyah, Ibn 'Ata' Allah al-Iskandari, tazkiyah, features of theory, Sunni Sufism, spiritual pedagogy, ihsan.

Abstract

This study examines the features of a theory of tazkiyah in Muhammad Sa'id Ramadan al-Bouti's commentary on al-Hikam al-'Ata'iyyah. It does not treat tazkiyah as scattered moral exhortations, but as a conceptual structure grounded in revelation, spiritual jurisprudence, and the maqam of ihsan. The study proceeds from a cautious premise: al-Bouti did not formulate a complete modern theory of tazkiyah, yet his commentary contains recurring theoretical elements that can be extracted, organized, and critically assessed.

The research applies an analytical-critical method, supported by an inductive reading of al-Bouti's commentary and an usuli approach that relates its concepts to the Qur'an, the Prophetic Sunnah, and the Sunni tradition of spiritual discipline. The analysis classifies the extracted concepts into major axes, including tawhid, the heart, action, intention, self-discipline, remembrance, companionship, and the critique of spiritual pretension. The study concludes that al-Bouti's commentary contributes to tazkiyah at three levels: a foundational level that relates purification to servanthood and ihsan, an educational level that turns aphorisms into principles of inner reform, and a critical level that challenges the separation between outward religiosity and inward realization. The study also argues that al-Bouti's project remains in need of further conceptual systematization and comparative analysis if it is to function as an independent educational theory.

* **Dr. Abu Bakr Muwaffaq Ahmed**

abobakir.muafak@imamaladham.edu.iq

معلومات المقال

تاريخ المقال:
القبول: ٢٠٢٦/٧/١٤م
الكلمات المفتاحية:
البوطي، الحكم العطائية، ابن عطاء الله السكندري، ملامح نظرية التزكية، تزكية النفس، التصوف السني، فقه السلوك، الإحسان.

ملخص

يدرس هذا البحث ملامح نظرية التزكية في شرح محمد سعيد رمضان البوطي للحكم العطائية، لا بوصف التزكية مواعظ متفرقة أو إشارات وجدانية عابرة، بل بوصفها نسقاً مفاهيمياً يتشكل من أصل الوحي، وفقه السلوك، ومقاصد الإحسان، ونقد آفات التدين الشكلي. وينطلق البحث من فرضية حذرة مفادها أن البوطي لم يصغ نظرية تزكية مكتملة بالمعنى الاصطلاحي الحديث، غير أن شرحه للحكم يكشف عن عناصر نظرية كامنة يمكن استخراجها وتحليلها وتقويمها. وقد اختير كتاب "الحكم العطائية: شرح وتحليل" مجالاً تطبيقياً لأنه لا يكتفي بشرح المعاني اللفظية للحكم، بل يعيد توظيفها في بناء رؤية تربوية قائمة على التوحيد، والافتقار إلى الله، وتصحيح النية، ومجاهدة النفس، وتنقية العمل من رعونات الدعوى والاعتماد على الأسباب.

اعتمد البحث منهجاً تحليلياً نقدياً مدعوماً بقراءة استقرائية لمواضع التزكية في شرح البوطي، ثم صُنفت المفاهيم المستخرجة في محاور دلالية كبرى هي: التوحيد، القلب، العمل، النية، المجاهدة، الذكر، الصحبة، ونقد الدعوى الروحية. كما أفاد البحث من المنهج التأصيلي برد هذه المفاهيم إلى القرآن الكريم والسنة النبوية وميراث السلوك السني. وخلص إلى أن أثر شرح البوطي يظهر في ثلاثة مستويات: مستوى تأصيلي يربط التزكية بالعبودية والإحسان؛ ومستوى تربوي يحول الحكمة إلى قاعدة لإصلاح القلب والسلوك؛ ومستوى نقدي يكشف الانفصال بين ظاهر التدين وحقيقة التحقق. كما خلص إلى أن المشروع البوطي قوي في ضبط التصوف بالشريعة ونقد الاعتماد على العمل والجاه الروحي، لكنه يحتاج إلى مزيد من الصياغة الاصطلاحية والمقارنة المنهجية إذا أريد تحويله إلى نظرية تربوية مستقلة قابلة للتداول الأكاديمي.

١. المقدمة

تمثل تزكية النفس أحد المفاهيم المركزية في البناء الإسلامي، لأنها تصل المعرفة الشرعية بالسلوك العملي، وتربط صلاح الظاهر بصلاح الباطن. فالإسلام لا يختزل التدين في صورة منضبطة من الخارج مع اضطراب في الداخل، ولا يجعل العمل الصالح حركة للجوارح منفصلة عن حياة القلب، بل يجعل صفاء القصد ومراقبة النفس شرطين في استقامة العمل وثمرته. ومن هنا اكتسبت التزكية موقعها في الخطاب القرآني والنبوي من خلال اتصالها بالعبودية، والتقوى، والإخلاص، والمراقبة، ومجاهدة الهوى، وتحرير النفس من عبودية الحظوظ والشهوات والدعاوى.

وقد شهد التراث الإسلامي مدارس متعددة في التعبير عن هذه الحقيقة؛ فمنها ما غلب عليه البيان الوعظي، ومنها ما غلب عليه التأصيل الفقهي، ومنها ما اتجه إلى صياغة مقامات السلوك وأحوال القلوب بلغة رمزية مكثفة، وتأتي "الحكم العطائية" للإمام تاج الدين أحمد بن محمد ابن عطاء الله السكندري في طليعة النصوص التي جمعت بين التركيز البلاغي والعمق التربوي؛ فهي عبارات قصيرة في حجمها، واسعة في دلالتها، تتناول التوحيد، والافتقار، والعمل،

والنية، والصحبة، والدعوى، واليقين، والرضا، والرجاء، وموقع الأسباب من التوكل. وليست شهرة الحكم راجعة إلى جمال العبارة وحده، بل إلى قدرتها على تحويل التجربة الروحية إلى بصائر موجزة قابلة للتأمل والتطبيق.

وفي العصر الحديث، يبرز محمد سعيد رمضان البوطي بوصفه أحد العلماء الذين حاولوا إعادة وصل علوم الشريعة بعلوم السلوك، لا عبر تبني غير نقدي للتصوف، ولا عبر رفضه جملة، بل من خلال مشروع يميز بين التصوف السني المنضبط بالكتاب والسنة وبين الانحرافات التي تلحق به باسم الولاية أو الخوارق أو إسقاط التكليف. ومن أبرز ما يدل على هذا الاتجاه شرحه المطول للحكم العطائية، إذ لم يكن شرحاً لغوياً أو تعليقاً وجدانياً فحسب، بل محاولة لإعادة بناء خطاب التزكية في بيئة حديثة تتنازعها النزعة المادية من جهة، والتدين الشكلي أو الحركي أو الجدلي من جهة أخرى.

وتزداد أهمية الموضوع حين نلاحظ أن كثيراً من الكتابات المعاصرة عن البوطي اهتمت بفقهه، أو موقفه من اللامذهبية، أو نقده للمادية، أو رؤيته السياسية والاجتماعية، بينما بقي مشروعه التزكوي أقل حظاً من التحليل النظري العميق. كما أن كثيراً من الدراسات التي تناولت "الحكم العطائية" وقفت عند ابن عطاء الله أو عند الشروح الكلاسيكية، ولم تدرس بما يكفي أثر القراءة البوطية الحديثة في تحويل النص الحكمِي إلى منظومة تربوية تتصل بإشكالات المسلم المعاصر. ومن هنا يأتي هذا البحث لسد ثغرة علمية محددة: دراسة أثر شرح الحكم العطائية في بناء نظرية التزكية عند البوطي، مع إبراز عناصر القوة ومواطن الحاجة إلى ضبط مفاهيمي أدق.

وتستعمل هذه الدراسة مصطلح "ملامح النظرية" استعمالاً تحليلياً لا ادعائياً. فلا تفترض أن البوطي صاغ نظرية بالمعنى الاصطلاحي الغربي الكامل، ذات مقدمات وقوانين ونماذج اختبارية، بل تقصد بالملامح النظرية النسق المفهومي المتكرر في شرحه، والذي يمكن استخلاصه وتحليله: تصور الإنسان، وموقع القلب، ووظيفة العمل، ودور الشريعة، ومعنى الإحسان، وآليات المجاهدة، وضوابط الصحبة، وغايات السلوك. وعلى هذا الأساس يتعامل البحث مع شرح البوطي بوصفه مادة قابلة لاستنباط تصور تزكوي كامن، لا مجرد كتاب شرح تابع للأصل العطائي. والذي يبدو لي أن هذا التحديد أدق منهجياً من إطلاق وصف النظرية المكتملة؛ لأنه يحفظ للشرح البوطي طبيعته التربوية الشارحة، وفي الوقت نفسه يتيح قراءة عناصره بوصفها قابلة للتركيب والتحليل.

وقد اقتضت طبيعة البحث أن يجمع بين التأصيل والتحليل والنقد؛ فيؤصل لمفهوم التزكية من القرآن والسنة، ويعرض ترجمة موجزة للبوطي وابن عطاء الله، ويعرّف مفردات العنوان، ثم يحلل أثر الشرح في بناء ملامح النظرية، وينتهي إلى تقويم علمي يبين ما أضافه البوطي إلى درس التزكية، وما ينبغي استكماله في الدراسات اللاحقة. وسيحرص البحث على التمييز

بين النقل الحرفي والكلام المنقول بالمعنى، وعلى ربط الاستنتاجات بالنصوص المحللة لا بالاستخلاص العام وحده.

خطة البحث:

ينتظم البحث في مقدمة وتمهيد وأربعة مباحث وخاتمة. وهي كما يأتي:-

التمهيد: الترجمة والسياق والمفاهيم.. وفيه ثلاثة مطالب:-

المطلب الأول: ترجمة موجزة للإمام محمد سعيد رمضان البوطي.

المطلب الثاني: ترجمة موجزة للإمام ابن عطاء الله السكندري وكتاب الحكم.

المطلب الثالث: التعريف اللغوي والاصطلاحي لمفردات العنوان.

المبحث الأول: الأساس التأصيلي للتزكية في شرح البوطي للحكم.. وفيه ثلاثة مطالب:-

المطلب الأول: التزكية بين القرآن والسنة ومقام الإحسان.

المطلب الثاني: من الحكمة العطائية إلى القاعدة التربوية.

المطلب الثالث: مركزية التوحيد والافتقار في البناء التزكوي.

المبحث الثاني: خصائص منهج البوطي في شرح الحكم العطائية.. وفيه ثلاثة مطالب:-

المطلب الأول: الجمع بين البيان اللغوي والتحليل النفسي.

المطلب الثاني: ضبط التصوف بالشريعة ونقد الانحراف.

المطلب الثالث: تحويل السلوك من وعظ إلى معرفة عملية.

المبحث الثالث: ملامح نظرية التزكية المستخلصة من شرح البوطي.. وفيه ثلاثة مطالب:-

المطلب الأول: تصور الإنسان بين الفطرة والهوى والعبودية.

المطلب الثاني: العمل والنية ومشكلة الاعتماد على الطاعة.

المطلب الثالث: المجاهدة والذكر والصحبة بوصفها آليات للتزكية.

المبحث الرابع: القراءة التحليلية النقدية لأثر شرح الحكم في تشكيل ملامح نظرية التزكية.. وفيه ثلاثة مطالب:-

المطلب الأول: مواطن القوة في الشرح البوطي.

المطلب الثاني: حدود النظرية ومواطن الحاجة إلى الاستكمال.

المطلب الثالث: أثر ملامح النظرية في ترشيد التدين المعاصر.

ثم تأتي الخاتمة

٢.التمهيد

الترجمة والسياق والمفاهيم

٢.١.المطلب الأول

ترجمة موجزة للإمام محمد سعيد رمضان البوطي

محمد سعيد رمضان البوطي عالم سوري كردي الأصل، ولد سنة ١٩٢٩م، ونشأ في بيت علم وتدين، وكان لوالده الشيخ ملا رمضان البوطي أثر عميق في توجيهه إلى العلم وربط العلم بالقصد التعبدي. وتذكر السيرة المنشورة في موقع نسيم الشام أن والده نبّهه منذ الصغر إلى أن المقصود من العلم ليس الشهادة ولا الوظيفة، بل العلم بالله وبدينه، وهي عبارة تكشف عن الجذر التزكوي المبكر في تكوين البوطي العلمي[١]، ومن هنا لا يصح فهم عناية البوطي بالتزكية بوصفها مرحلة متأخرة أو ميلاً عاطفياً، بل هي امتداد لتربية مبكرة جمعت بين طلب العلم وصناعة القصد.

درس البوطي في معهد التوجيه الإسلامي بدمشق، ثم تابع دراسته في الأزهر، وحصل على الإجازة في الشريعة سنة ١٩٥٥م، ثم دبلوم التربية سنة ١٩٥٦م، ثم الدكتوراه في الفقه وأصوله عن أطروحته "ضوابط المصلحة في الشريعة الإسلامية"، وعُين بعد ذلك في كلية الشريعة بجامعة دمشق، وتولى مناصب أكاديمية وتعليمية متعددة [٢]، وتدل هذه السيرة على أن البوطي لم يكن واعظاً منفصلاً عن التكوين الأصولي، بل كان فقيهاً أصولياً متكلماً، وهذا مهم في قراءة شرحه للحكم؛ لأنه يفسر حرصه على ضبط السلوك بموازين الشريعة.

تنوّعت مؤلفات البوطي بين الفقه والأصول والعقيدة والفكر والحضارة والتربية والسلوك. ومن كتبه: كبرى اليقينيات الكونية، وضوابط المصلحة، واللامذهبية أخطر بدعة تهدد الشريعة الإسلامية، والجهاد في الإسلام، ومنهج الحضارة الإنسانية في القرآن، والحكم العطائية:شرح وتحليل. ويذكر موقع نسيم الشام ضمن مؤلفاته الحكم العطائية في أربعة أجزاء، كما تذكر دار الفكر أن طبعتها تتناول شرح حكم ابن عطاء الله وتحليلها، وأن محاورها تدور على التوحيد، والأخلاق وتزكية النفس، والسلوك وأحكامه[٣]، وهذا التوصيف الخارجي للكتاب يلتقي مع فرضية البحث: فالشرح ليس شرحاً أدبياً فحسب، بل بناء لمجالات التزكية.

(١) ينظر: العلّامة الشهيد محمد سعيد رمضان البوطي: السيرة الذاتية، موقع نسيم الشام، تاريخ الزيارة: ٢٠٢٦/٦/١٣م.

(٢) ينظر: العالم الإسلامي والقيادة الدينية: صورة لمحمد سعيد رمضان البوطي، أندرياس كريستمان، ص١٥٠-١٥٤.

(٣) ينظر: مبعوث القرون الأولى، موقع نسيم الشام، تاريخ الزيارة: ٢٠٢٦/٦/١٣م؛ الحكم العطائية: شرح وتحليل، موقع دار الفكر، تاريخ الزيارة: ٢٠٢٦/٦/١٣م.

أما حضور البوطي في الدرس السلوكي فيتجلى بوضوح في سلسلة "شرح الحكم العطائية" المنشورة ضمن "علم السلوك والتزكية"، إذ يبدأ موقع نسيم الشام فهرسة هذه السلسلة من درس مؤرخ في ١٩٩٩/١١/١٥م، ويتتابع فيها شرح الحكم درساً بعد درس[١]، واللافت في هذا التصنيف أن الموقع لا يضع الشرح في خانة الأدب أو البلاغة، بل في خانة السلوك والتزكية، مما يدل على أن المتلقي المؤسسي نفسه فهم هذا الشرح ضمن مقصد تربوي لا مجرد مقصد نصي.

وقد اختلف الباحثون في تقويم البوطي بسبب مواقفه الفكرية والسياسية في أواخر حياته، غير أن هذا البحث لا يجعل تلك المواقف موضوعه المباشر، ولا يتخذ منها مدخلاً للحكم على مشروعه التزكوي. المنهج العلمي هنا يقتضي التفريق بين الدراسة الفكرية لنص محدد وبين الجدل العام حول الشخصية؛ فالنص موضوع البحث هو شرح الحكم العطائية، ومعيار القراءة هو مدى إسهامه في بناء نظرية التزكية، لا الموقف من مجمل سيرة الرجل، ومع ذلك فإن وعي السياق ضروري حتى لا تتحول الدراسة إلى تمجيد غير نقدي أو إدانة غير علمية[٢].

٣.المطلب الثاني: ترجمة موجزة للإمام ابن عطاء الله السكندري وكتاب الحكم

ابن عطاء الله السكندري هو تاج الدين أحمد بن محمد بن عبد الكريم بن عطاء الله السكندري، أحد أعلام القرن السابع الهجري وأوائل القرن الثامن، مالكي المذهب، من كبار رجال الطريقة الشاذلية، ومن أشهر من صاغ أدبياتها في نصوص مكتوبة. وقد ذاع اسمه بكتابه "الحكم العطائية"، كما عُرف بكتب أخرى مثل "لطائف المنن" و"التنوير في إسقاط التدبير" و"تاج العروس الحاوي لتهذيب النفوس"[٣]، وتدل عناوين هذه الكتب نفسها على أن ابن عطاء الله لم يكن صاحب حكم منفصلة عن مشروع، بل صاحب رؤية تقوم على إسقاط التدبير بمعنى تحرير القلب من التعلق المرضي بالأسباب، وتهذيب النفس، وإدراك لطائف المنن الإلهية.

تتميز الحكم العطائية بأنها نص شديد التركيز، يتجه إلى القلب مباشرة، ويخاطب الإنسان في منطقه الخفي لا في سلوكه الظاهر وحده. والحكمة الأولى، وهي قوله: "من علامة الاعتماد على العمل نقصان الرجاء عند وجود الزلل"، تكشف منذ البداية أن موضوع الكتاب ليس العمل من حيث صورته الفقهية، بل علاقة القلب بالعمل، وهل يصبح العمل سلماً إلى الله أم حجاباً عن الله إذا تحول إلى مصدر اعتماد واعتداد. ولذلك كانت الحكم قادرة على البقاء في الدرس

(١) ينظر: شرح الحكم العطائية: علم السلوك والتزكية، موقع نسيم الشـــام، تاريخ الزيارة: ٢٠٢٦/٦/١٣م.

(٢) ينظر: العالم الإسلامي والقيادة الدينية: صورة لمحمد سعيد رمضان البوطي، أندرياس كريستمان، ص١٤٩-١٦٩.

(٣) ينظر: لطائف المنن في مناقب الشيخ أبي العباس المرسي وشيخه أبي الحسن الشاذلي، ابن عطاء الله السكندري، ص٩-١٨؛ ابن عطاء الله السكندري، عبد الحليم محمود، ص٣٥-٦٠.

السلوكي قروناً؛ لأنها لا تعالج عوارض عصر بعينه، بل تعالج ثوابت النفس في علاقتها بالله والعمل والناس[١] .

وقد اعتنى العلماء بالحكم شرحاً وتعليقاً، ومن أشهر الشروح "إيقاظ الهمم في شرح الحكم" لابن عجيبة، وشروح أحمد زروق، وشرح الشرقاوي، وغيرها. ويدل تعدد الشروح على أن نص الحكم نص مفتوح على طبقات من القراءة، وأنه يحتمل الشرح الفقهي والتربوي والذوقي والبلاغي. غير أن ميزة شرح البوطي أنه جاء في سياق حديث، بلغة قريبة من جمهور المتعلمين، ومع خلفية أصولية وفقهية واضحة، مما جعله صالحاً لدراسة أثر الشرح المعاصر في إعادة بناء النظرية التزكوية [٢].

ولا ينبغي النظر إلى الحكم العطائية على أنها بديل عن القرآن والسنة، ولا أن عباراتها تملك حجية مستقلة، بل هي اجتهاد تربوي في فهم أحوال القلب على ضوء أصول الوحي. وهذا ما يظهر في تلقي البوطي لها؛ إذ يحرص على رد معانيها إلى التوحيد والإيمان والإحسان، ويجتهد في دفع توهمات قد تنشأ من بعض العبارات الصوفية إذا قُرئت بمعزل عن الشريعة. فالقيمة العلمية للحكم لا تنبع من قداسة نصية، بل من قدرتها على الكشف عن دقائق النفس بلغة موجزة، ومن قابلية هذه اللغة للتأصيل والاختبار.

٤.المطلب الثالث: التعريف اللغوي والاصطلاحي لمفردات العنوان

"الأثر" في اللغة يدل على بقية الشيء وعلامته وما يترتب عليه، ومنه أثر القدم وأثر الفعل، وفي الاصطلاح البحثي يراد به النتيجة العلمية أو التربوية أو المنهجية التي يحدثها نص أو موقف أو شرح في بناء تصور لاحق. وبناء على ذلك لا يقصد البحث بـ " الأثر " علاقة سببية كمية قابلة للقياس الإحصائي، بل يقصد الأثر المفهومي الذي تركه شرح البوطي في إمكان صياغة نظرية للتزكية [٣].

أما "الشرح" فهو في اللغة الكشف والبيان والتوسعة، ويقال شرح الكلام إذا بينه وأزال إبهامه. وفي اصطلاح العلوم الإسلامية لا يقتصر الشرح على تفسير الألفاظ، بل قد يتحول إلى إعادة بناء للمتن؛ لأن الشارح يختار ترتيب المعاني، ويحدد العلاقات بينها، ويستدعي شواهدها، ويدفع إشكالاتها. ومن هنا فإن شرح البوطي للحكم ليس تابعاً ميكانيكياً للمتن العطائي، بل هو قراءة منتجة أسهمت في توسيع دلالات الحكم ضمن مشروعه العلمي [٤].

(١) ينظر: الحكم العطائية، ابن عطاء الله السكندري،ص٥؛ الحكم العطائية: شرح وتحليل، محمد سعيد رمضان البوطي، ج١، ص٢٣-٥٤.

(٢) ينظر: إيقاظ الهمم في شرح الحكم، أحمد بن عجيبة، ج١، ص٢٩-٣٥؛ قواعد التصوف، أحمد زروق، ص٢١-٢٨؛ شرح الحكم العطائية، عبد الله الشرقاوي، ج١، ص١٤-٢٠.

(٣) ينظر: لسان العرب، ابن منظور، ج٤، ص٧؛ تاج العروس، الزبيدي، ج١٠، ص٨.

(٤) ينظر: مقاييس اللغة، ابن فارس، ج٣، ص٢٦٥؛ الكليات، أبو البقاء الكفوي، ص٥٢٤-٥٢٥.

و"الحكم" جمع حكمة، وهي في اللغة العلم المحكم، والمنع من الجهل والسفه، ووضع الشيء في موضعه، والحكمة في السياق العطائي عبارة موجزة جامعة تكشف معنى سلوكياً أو توحيدياً أو تربوياً. أما "العطائية" فنسبة إلى ابن عطاء الله السكندري. فالحكم العطائية هي مجموعة من العبارات المكثفة التي صاغها ابن عطاء الله لتوجيه السالك إلى تصحيح علاقته بالله والعمل والنفس والخلق [١].

و"التزكية" في اللغة من الزكاء، وهو النماء والطهارة والصلاح. وهي في الاصطلاح الشرعي تطهير النفس من أدران الشرك والرياء والعجب والحسد والكبر والغفلة، وتنميتها بالإيمان والإخلاص والتقوى والمراقبة وحسن الخلق، وقد جمع القرآن بين المعنيين: التطهير والتنمية؛ فمن تزكى لم يكتف بترك الرذائل، بل نما في مراتب العبودية {قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا}[٢]، وقوله تعالى: {قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ}[٣] .

وأما ملامح النظرية في هذا البحث فليست اصطلاحاً يراد إسقاطه على التراث، بل أداة تحليلية يقصد بها النسق المنظم من المفاهيم والعلاقات والغايات. فملامح نظرية التزكية عند البوطي تعني مجموع التصورات التي تحكم فهمه للإنسان والقلب والعمل والنية والمجاهدة والذكر والصحبة ومقصد الإحسان. فإذا ثبت أن هذه التصورات متكررة ومترابطة في شرحه، أمكن القول إن الشرح أسهم في تشكيل ملامح نظرية تزكوية، ولو لم يسمها البوطي بهذا الاسم ولم يصغها في بناء مستقل.

٥.المبحث الأول: الأساس التأصيلي للتزكية في شرح البوطي للحكم

٥.١.المطلب الأول: التزكية بين القرآن والسنة ومقام الإحسان

ينطلق البوطي في فهم التزكية من أن القرآن لم يبعث الإنسان إلى معرفة ذهنية مجردة، بل إلى تحويل المعرفة إلى عبودية. فالرسالة المحمدية تضمنت تلاوة الآيات، والتعليم، والتزكية، كما في قوله تعالى: {هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ}[٤]، وهذا الترتيب لا يعني انفصال التعليم عن التزكية، بل يدل على أن العلم إذا لم يصنع تزكية فقد بقي ناقص الأثر. ومن هنا يقرأ البوطي الحكم العطائية بوصفها تنبيهاً مستمراً إلى أن العلم والعمل لا يثمران إلا إذا صحّ القلب وتحرر من الالتفات إلى النفس.

وفي السنة النبوية يظهر هذا المعنى في حديث النية: "إنما الأعمال بالنيات"[٥]، إذ لا تقاس الأعمال

(١)ينظر: التعريفات، الجرجاني، ص٧٣؛ لسان العرب، ابن منظور، ج١٢، ص١٤٣.

(٢) سورة الشمس: ٩.

(٣) سورة الاعلى: ١٤.

(٤) سورة الجمعة: ٢.

(٥) اخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الوحي، باب بدء الوحي، رقم الحديث ١، ج١، ص٦ .

بصورها فقط، بل ببواعثها ومقاصدها[١]، كما يظهر في حديث المضغة: "ألا وإن في الجسد مضغة، إذا صلحت صلح الجسد كله"[٢]؛ فالقلب هو مركز الإصلاح، لا لأنه يلغي الجوارح، بل لأنه يوجهها ويمنحها معناها[٣]، وهذا هو المدخل الذي يجعل شرح الحكم عند البوطي شرحاً لقوانين القلب؛ فالحكمة العطائية لا تنازع الفقه، بل تسأل: كيف يتحول الفعل الفقهي إلى عبودية صادقة لا إلى عادة أو حظ نفس؟.

وترتبط التزكية عند البوطي بمقام الإحسان الذي عرّفه النبي (صلى الله عليه وسلم) بقوله: "أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك"[٤]، فالإحسان ليس رتبة شعورية مبهمة، بل مراقبة تضبط العمل والقصد. ومن ثم فإن الحكم العطائية في قراءة البوطي تدور حول نقل الإنسان من إسلام الصورة إلى إحسان الحضور، ومن امتثال الحد الأدنى إلى تحقق العبودية. وهذا لا يعني الانتقاص من الفقه، بل يعني أن الفقه يحمي صورة العمل، وأن التزكية تحمي روحه.

ومن الدقة هنا أن نميز بين التزكية بوصفها واجباً كلياً وبين التصوف بوصفه تاريخاً ومدرسة ومصطلحات. فالبوطي لا يجعل كل ما سمي تصوفاً مرادفاً للتزكية، ولا يجعل كل نقد للتصوف نقداً للتزكية. إنه يحاول أن يرد التصوف المقبول إلى أصله: الإحسان، ومحاسبة النفس، وصحبة الصادقين، والتزام الشريعة، ولذلك لا يمكن فهم شرحه للحكم إلا بوصفه دفاعاً عن علم السلوك من جهة، وتنقية له من الانحرافات من جهة أخرى[٥]، والذي أرجحه أن هذا التمييز هو المدخل الأقرب إلى منهج البوطي؛ إذ لا يذوب في المصطلح الصوفي بلا ضابط، ولا يلغيه حين يكون خادماً لمقاصد التزكية الشرعية.

٢.٥.المطلب الثاني: من الحكمة العطائية إلى القاعدة التربوية

الحكمة العطائية نص مكثف، والشرح هو الذي يكشف طاقتها المنهجية، فالعبارة الأولى "من علامة الاعتماد على العمل نقصان الرجاء عند وجود الزلل" لا تقدم موعظة عامة فقط، بل تؤسس قاعدة تربوية مركبة: العمل مطلوب، لكن الاعتماد على العمل آفة؛ والتقصير مذموم، لكن اليأس بعد التقصير آفة أخرى. وهكذا ينتقل البوطي من نص قصير إلى قانون تربوي يجمع بين العمل والافتقار، وبين المجاهدة والرجاء، وبين الخوف من الذنب وعدم القنوط من رحمة الله.

وتظهر القيمة التحليلية لهذه الحكمة في أنها لا تناقش حكم العمل من جهة الوجوب أو الندب، بل تناقش موقع العمل في وعي صاحبه. فالعمل قد يبقى صحيح الصورة من الناحية الفقهية، لكنه يختل تربوياً

(١) ينظر: جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم، ابن رجب الحنبلي، ج١، ص٦١– ٦٥.

(٢) اخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الطلاق، باب أخذ الحلال وترك الشبهات، رقم الحديث ١٥٩٩، ج٣، ص١٢١٩.

(٣) ينظر: جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم، ابن رجب الحنبلي، ج١، ص١٩٣–٢٠٠.

(٤) اخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الايمان، باب معرفة الإيمان، والإسلام، والقدر وعلامة الساعة، رقم الحديث ٨، ج١، ص٣٦.

(٥) ينظر: الحكم العطائية: شرح وتحليل، محمد سعيد رمضان البوطي، ج١، ص٢٣–٥٤؛ قواعد التصوف، أحمد زروق، ص٣١–٣٥.

حين يتحول إلى مصدر اعتداد أو ضمان نفسي. ومن هنا يجعل البوطي مركز التحليل في العلاقة بين الفعل والقلب، لا في الفعل وحده.

هذا التحويل من الحكمة إلى القاعدة هو جوهر أثر الشرح. فالشارح يستطيع أن يقتل النص إذا جعله مجرد معنى لغوي، ويستطيع أن يحييه إذا أبرز العلاقات التي يختزنها. والبوطي في شرحه يميل إلى الخيار الثاني؛ إذ يجعل الحكمة مدخلاً إلى تحليل النفس حين تتدين. فالإنسان قد يترك المعصية، لكنه يقع في عجب الطاعة؛ وقد يكثر من العبادة، لكنه ينسى فضل الله؛ وقد يطلب المقام الروحي، فيصير طلب المقام حظاً من حظوظ النفس. لذلك تبدو التزكية عند البوطي نقداً داخلياً للتدين لا مجرد دعوة عامة إلى الأخلاق.

والقرآن يقرر هذا المعنى حين ينهى عن تزكية النفس بمعنى ادعاء الطهارة: {الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ ۚ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ ۖ فَلَا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَىٰ}[1]، فالتزكية المطلوبة شرعاً شيء، ودعوى التزكية شيء آخر. ومن دقة الحكم العطائية أنها تهاجم الدعوى الخفية لا العمل الظاهر. وشرح البوطي لهذه النقطة يبين أن أخطر أمراض السالك أن يرى نفسه سالكاً، وأن يتحول الطريق إلى صورة من صور إثبات الذات. بهذا يصبح الشرح علاجاً لما يمكن تسميته بـــ"أمراض التدين بعد التدين".

وإذا كانت بعض الكتابات المعاصرة تركز على السلوك الظاهر والالتزام الاجتماعي، فإن البوطي يذكّر بأن الظاهر بلا باطن قد يتحول إلى قشرة صلبة. لكنه في الوقت نفسه لا يقبل باطناً يزعم الصفاء ثم يستهين بالشريعة. ومن هنا تتكون القاعدة المركزية: لا تزكية بلا شريعة، ولا شريعة كاملة الأثر بلا تزكية. وهذه الثنائية هي أحد الأعمدة التي تسمح بالحديث عن نظرية تزكية عنده[2]، والذي أميل إليه أن قيمة قراءة البوطي هنا تكمن في ردّ الظاهر إلى أصله الباطني من غير أن يجعله بديلاً عنه؛ فالنقد عنده إصلاحي يطلب كمال التدين لا نقض صورته العملية.

٣.٥.المطلب الثالث: مركزية التوحيد والافتقار في البناء التزكوي

من أبرز ما يكشفه شرح البوطي للحكم أن التزكية ليست أولاً علماً بالأخلاق، بل هي علم بتحرير القلب من رؤية غير الله استقلالاً، فالتوحيد عنده ليس قضية كلامية مجردة، بل أصل تربوي؛ إذ كل آفة في النفس ترجع في عمقها إلى نوع تعلق بغير الله: بالعمل، أو بالناس، أو بالمقام، أو بالأسباب، أو بصورة الذات، ومن هنا تتكرر في الحكم معاني الافتقار والاعتماد على الله والفرار إليه {فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ}[3].

(١) النجم: ٣٢.

(٢) ينظر: إحياء علوم الدين، الغزالي،ج١، ص١٣-٥٩ ؛ الرسالة القشيرية، القشيري، ج١، ص٨٩-٩٦.

(٣) سورة الذاريات: ٥٠.

لا يعني الافتقار ترك الأسباب، بل يعني تطهير القلب من عبادة الأسباب. فالإنسان يعمل، ويتعلم، ويجاهد، ويأخذ بالأسباب، لكنه يعلم أن النتائج بيد الله، وأن الفضل من الله، وأن العمل نفسه نعمة تحتاج إلى شكر. وهذه النقطة من أكثر المواضع التي يشتد فيها شرح البوطي؛ لأنه يواجه فهماً سطحياً يرى في نقد الاعتماد على العمل دعوة إلى الكسل. والصواب أن الحكمة لا تنقد العمل، بل تنقد تحويل العمل إلى سند نفسي مستقل عن الله (١).

وتؤسس هذه الرؤية علاقة دقيقة بين التوحيد والتربية. فالتزكية ليست تقنيات تهذيبية محايدة، بل عبودية واعية؛ والذكر ليس تمريناً نفسياً مجرداً، بل حضور مع المذكور؛ والصبر ليس قوة نفسية فقط، بل شهود لحكمة الله؛ والتوكل ليس استرخاء، بل عمل بلا ادعاء. ولهذا فإن ملامح نظرية التزكية عند البوطي لا يمكن عزلها عن عقيدته السنية وعن موقفه من السببية والقدر. فالأسباب معتبرة شرعاً، لكنها لا تملك الاستقلال الوجودي.

إن الافتقار بهذا المعنى يحفظ التزكية من آفتين: آفة العجب عند النجاح، وآفة القنوط عند الفشل. فمن رأى العمل من الله لم يعجب، ومن رأى الرحمة أوسع من ذنبه لم يقنط. وهذا هو جوهر الحكمة الأولى، وهو أيضاً لبّ التربية الروحية في شرح البوطي: أن يتحول الإنسان من مركزية الذات إلى مركزية العبودية.

(١) ينظر: الحكم العطائية: شرح وتحليل، محمد سعيد رمضان البوطي، ج١، ص٢٣-٥٤/ ص٩٢-١١٠؛ كبرى اليقينيات الكونية، محمد سعيد رمضان البوطي، ص٢٨٩-٣٠٢.

٦.المبحث الثاني: خصائص منهج البوطي في شرح الحكم العطائية

١.٦.المطلب الأول: الجمع بين البيان اللغوي والتحليل النفسي

لا يقف البوطي عند شرح المفردة شرحاً قاموسياً، مع أنه لا يهمل اللغة، بل يجعل اللغة مدخلاً إلى تحليل الحالة. فالحكمة عنده لا تنتمي إلى جنس الجملة التعليمية البسيطة، بل إلى جنس العبارة الكاشفة التي تفتح سؤالاً في القلب. ولذلك ينتقل الشرح من بيان اللفظ إلى تحديد الحالة التي تعالجها الحكمة، ثم إلى كشف الخلل النفسي أو التعبدي الذي تشير إليه، ثم إلى بيان الضابط الشرعي الذي يمنع إساءة فهمها.

ويفيد هذا المسار في تحويل النص الصوفي المكثف إلى مادة قابلة للتحليل الأكاديمي؛ لأن الحكم لا تُقرأ هنا بوصفها إشارات وجدانية مغلقة، بل بوصفها نصوصاً تؤدي وظيفة تشخيصية وتربوية. وهذا ما يفسر قابلية الشرح لأن يستخرج منه الباحث محاور نظرية، مع بقاء الحاجة إلى تنظيم هذه المحاور في جهاز اصطلاحي أوضح.

ومثال ذلك قضية "الخمول" في بعض الحكم؛ فقد يفهمها القارئ دعوة إلى ترك العمل أو الانسحاب من المجتمع، بينما يوجهها الشرح إلى علاج حب الظهور. فالخمول ليس قيمة مطلقة، والظهور ليس مذموماً مطلقاً، وإنما المدار على حظ النفس. فإذا كان الظهور واجباً لخدمة علم أو حق أو مصلحة، لم يكن مذموماً؛

وإذا كان طلباً للجاه، صار مرضاً. وبهذا يربط البوطي بين العبارة العطائية وبين فقه المقاصد والنيات.

وهنا تظهر قيمة الخلفية الأصولية عند البوطي. فالعارف بالفقه لا يقرأ نصوص السلوك قراءة منفلتة، بل يرد المطلق إلى المقيد، والعام إلى الخاص، والمقصد إلى ضابطه. لذلك يختلف شرحه عن بعض الشروح الذوقية الخالصة؛ إذ يكثر فيه التنبيه إلى أن السلوك لا يبيح ترك التكليف، وأن المقامات لا تسقط أحكام الشريعة، وأن الدعوى الروحية إذا خالفت الأمر والنهي فهي وهم لا ولاية. وهذه نقطة قوة واضحة في المشروع[١].

غير أن هذه المزية نفسها قد تجعل الشرح أحياناً أقرب إلى الدفاع عن التصوف السني من بناء جهاز اصطلاحي مستقل. فالتحليل النفسي حاضر بقوة، لكن تصنيفه في نماذج مفهومية محددة ليس دائماً بالوضوح الذي يحتاجه الباحث المعاصر. ومن هنا تأتي وظيفة هذا البحث في إعادة تنظيم المادة لا في الاكتفاء بنقلها.

٢.٦.المطلب الثاني: ضبط التصوف بالشريعة ونقد الانحراف

يتمثل أحد آثار شرح الحكم عند البوطي في إعادة تعريف التصوف المقبول بأنه تزكية منضبطة بالشريعة. فهو لا يقبل التصوف بوصفه بديلاً عن العلم، ولا بوصفه سلطة فوق النص، ولا بوصفه مجالاً للخوارق والدعاوى. التصوف عنده، في وجهه الصحيح، هو تحقيق مقام الإحسان، ومحاسبة النفس، وتطهير القلب، وترقية الأخلاق، والالتزام بأوامر الله. وهذا المعنى يجد سنده في حديث الإحسان وفي النصوص القرآنية التي تجعل تزكية النفس من مقاصد الرسالة لقد عدنا مجدداً إلى الآية المركزية في أطروحتك: {هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ}[٢] .

وتبرز أهمية هذا الضبط في سياقين: سياق يرفض التصوف كله بسبب ما لحق ببعض صوره من بدع وانحرافات، وسياق آخر يذيب الشريعة في تجارب روحية غير منضبطة. البوطي يرفض الطرفين. فهو يرى أن رفض علم السلوك بسبب أخطاء المنتسبين إليه يشبه رفض الفقه بسبب أخطاء بعض الفقهاء، كما يرى أن قبول كل ما يسمى سلوكاً دون ميزان شرعي تفريط في الدين. وهذا الموقف الوسطي هو الذي يجعل شرحه للحكم مادة مناسبة لبناء نظرية تزكية سنية[٣].

وتتجلى هذه الرؤية في موقفه من الشيخ والمريد. فالصحبة عنده ليست استلاباً للعقل، بل إعانة تربوية على رؤية عيوب النفس. وقد دل القرآن على قيمة الصحبة الصالحة في قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ}[٤]، لكن هذه الصحبة لا

(١) ينظر: قواعد التصوف، أحمد زروق، ص٣٢-٤٥؛ اللمع، أبو نصر السراج الطوسي، ص٢٢-٢٩، ص٤٥-٥٢.

(٢) سورة الجمعة: ٢.

(٣) ينظر: الحكم العطائية: شرح وتحليل، محمد سعيد رمضان البوطي، ج١، ص٣٥-٦٠؛ اللامذهبية أخطر بدعة تهدد الشريعة الإسلامية، محمد سعيد رمضان البوطي، ص٩-١٨، ص١٠٠-١١٤.

(٤) سورة التوبة: ١١٩.

تلغي العلم ولا المسؤولية الفردية ولا أحكام الشريعة. ومن هنا يرفض البوطي كل علاقة تربوية تتحول إلى تقديس أشخاص أو تعطيل فكر أو ادعاء عصمة.

والنقد هنا لا يوجه إلى التصوف من خارجه فقط، بل إلى الداخل الصوفي نفسه، فالحكم العطائية بما فيها من نقد للدعوى والظهور والاعتماد على المقامات تمثل جهازاً داخلياً لمقاومة الانحراف. وشرح البوطي يفعّل هذا الجهاز حين يبين أن أخطر الحجب قد لا تكون المعاصي الظاهرة، بل رؤية الطاعة، وطلب المنزلة، واستحلاء الخطاب الروحي. وهذا تحليل عميق؛ لأن النفس قد تنتقل من شهوة المعصية إلى شهوة القداسة.

٣.٦.المطلب الثالث

تحويل السلوك من وعظ إلى معرفة عملية

الوعظ قد يحرك العاطفة ثم يزول أثره، أما المعرفة العملية فتمنح الإنسان مفاتيح للمراقبة والمحاسبة. ومن إنجاز البوطي في شرح الحكم أنه يحاول تحويل المعاني السلوكية إلى معايير يتفقد بها القارئ قلبه. فهو لا يقول فقط: أخلص، بل يشرح علامات الاعتماد على العمل؛ ولا يقول فقط: توكل، بل يميز بين التوكل وتعطيل الأسباب؛ ولا يقول فقط: لا تعجب، بل يبين كيف يدخل العجب من باب الطاعة، هذه الطريقة تجعل التزكية علماً بتشخيص العلل.

ولعل أقرب نص نبوي لهذا المعنى حديث النبي (صلى الله عليه وسلم): "التقوى هاهنا"[١]، مشيراً إلى صدره ، فالحديث لا يلغي العمل الظاهر، لكنه يقرر أن مركز التقوى في القلب. ومن هنا فالبوطي لا يقدم التزكية بوصفها زخرفة روحية، بل بوصفها معرفة عملية بأمراض القلب وطرق علاجها. ويقارب هذا ما فعله الغزالي في "إحياء علوم الدين" حين جعل لكل عبادة ظاهراً وباطناً، ولكل خلق آفة وعلاجاً [٢].

لكن الفرق بين الغزالي والبوطي أن البوطي يشتغل في سياق حديث يواجه اختزال الدين في موقف أيديولوجي أو هوية اجتماعية أو خطاب جدلي. لذلك يكثر عنده نقد التدين الذي يشتغل بالخصومات وينسى إصلاح النفس. وهذه الإضافة تجعل شرح الحكم عنده صالحاً لمخاطبة الإنسان المعاصر الذي قد يعرف الأحكام، ويتابع النقاشات، وينتصر للمذاهب، لكنه لا يراقب قلبه مراقبة كافية.

ومن هنا يمكن القول إن شرح البوطي ينتج معرفة تزكوية ذات ثلاث وظائف: وظيفة تشخيصية تكشف المرض؛ ووظيفة تأصيلية ترده إلى نصوص الوحي؛ ووظيفة تربوية تقترح طريق المجاهدة. وإذا اجتمعت هذه الوظائف نشأت ملامح نظرية، لا مجرد مواعظ متناثرة. غير أن هذه الملامح لا تصبح نظرية مكتملة

---

(١) اخرجه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم ظلم المسلم، وخذله، واحتقاره ودمه، وعرضه، وماله، رقم الحديث ٢٥٦٤، ج٤، ص١٩٨٦.

(٢) ينظر: إحياء علوم الدين، الغزالي، ج٣، ص٤٦-٩١/ ص٣-٤٥.

إلا إذا أُعيد ترتيبها في مفاهيم محددة وعلاقات واضحة ومعايير تطبيقية قابلة للفحص.

٧.المبحث الثالث

ملامح نظرية التزكية المستخلصة من شرح البوطي

١.٧.المطلب الأول

تصور الإنسان بين الفطرة والهوى والعبودية

تبدأ أي نظرية تزكية من تصورها للإنسان. والإنسان في شرح البوطي ليس مادة نفسية محايدة، ولا روحاً مجردة من التكليف، بل مخلوق مكرم مركب من عقل وقلب وشهوة وإرادة، مفطور على معرفة ربه، ومبتلى بالهوى والغفلة. ولهذا فالتزكية ليست قمعاً للإنسان، بل رده إلى حقيقة عبوديته. قوله تعالى:{وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا}[١]، ثم بيّن أن النفس تقبل الفجور والتقوى، وأن الفلاح في تزكيتها.

يرى البوطي، من خلال الحكم، أن أخطر ما في الإنسان قدرته على خداع نفسه. فقد يلبس الهوى ثوب العلم، وتلبس الدعوى ثوب السلوك، ويلبس حب الظهور ثوب الدعوة، ويلبس الكسل ثوب التوكل. لذلك لا تقوم التزكية على الثقة الساذجة بالنفس، بل على محاسبتها. وهذا المعنى حاضر بقوة في التراث السلوكي؛ إذ يكثر الكلام عن مداخل النفس ومكايدها، لا بقصد تحطيم الإنسان، بل بقصد تحريره من الوهم[٢].

والعبودية في هذا التصور ليست نقصاً، بل كمال الإنسان. فكلما تحقق الإنسان بعبوديته تحرر من عبودية غير الله: عبودية الشهوة، والناس، والجاه، والصورة، والإنجاز. وهذا يفسر مركزية الافتقار في شرح البوطي، فالفقير إلى الله لا يعني الضعيف السلبي، بل الإنسان الذي عرف مصدر قوته وحدود قدرته.

ومن زاوية نقدية، يمكن القول إن هذا التصور يمنح التزكية عمقاً توحيدياً، لكنه يحتاج في الصياغة المعاصرة إلى حوار أوسع مع علوم النفس والتربية من غير أن يذوب فيها. فالبوطي يملك تحليلاً دقيقاً للنفس من داخل التراث، لكنه لا يحوله غالباً إلى مصطلحات تربوية حديثة. وهذه ليست نقيصة قاتلة، لكنها تحدّ من قابلية مشروعه للتداول في الدراسات التربوية المعاصرة ما لم يقم الباحثون بإعادة صياغته.

٢.٧.المطلب الثاني

العمل والنية ومشكلة الاعتماد على الطاعة

العمل في ملامح نظرية التزكية عند البوطي ضرورة شرعية، لكنه ليس مصدر النجاة بذاته. فالعمل مأمور به، والترك معصية، لكن القلب إذا اعتمد على العمل فقد حوّل الطاعة إلى حجاب. هذه المفارقة هي

(١) سورة الشمس: ٧.

(٢) ينظر: الرعاية لحقوق الله، الحارث المحاسبي، ص٣٩–٧٠؛ صيد الخاطر، ابن الجوزي، ص٤١–٤٥، ص٢٥٧–٢٦٠.

من أهم ما تعلمه الحكمة الأولى، ومن أهم ما يوسعه البوطي في شرحه. فالخلل ليس في الصلاة أو الصوم أو العلم، بل في شعور خفي بأن هذه الأعمال أصبحت ضمانة ذاتية على الله عز وجل.

قوله (صلى الله عليه وسلم): "إنما الأعمال بالنيات"[١]، فحديث النية هنا أصل جامع؛ فالعمل لا يكون صالحاً إلا إذا صح باعثه، والنية ليست لفظاً يقال، بل اتجاه القلب، ولذلك يربط البوطي بين النية وبين الافتقار: المخلص يعمل لأنه عبد، لا لأنه يريد امتلاك حق على الله. فإذا وقع في الزلل لم ينقص رجاؤه بسبب سقوط سند العمل، لأنه لم يكن معتمداً على العمل ابتداء، بل على رحمة الله مع دوام التوبة والمجاهدة.

وهذا التصور يعالج مرضين متقابلين: مرض الاتكال على الرحمة مع ترك العمل، ومرض الاتكال على العمل مع نسيان الرحمة: الأول يؤدي إلى التسيب، والثاني يؤدي إلى العجب والقسوة. أما التزكية الصحيحة فتجمع بين بذل الجهد والتبرؤ من الحول والقوة. ولذلك كان من دعاء المؤمنين في القرآن: {لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ}[٢].

ومن الناحية النقدية، ينجح البوطي في كشف آفة الاعتماد على الطاعة، لكنه لا يفصل دائماً بين المستويات النفسية لهذه الآفة: العجب، والأمن من مكر الله، واحتقار العصاة، والغرور العلمي، وطلب المنزلة. ويمكن تطوير مشروعه هنا عبر خريطة تربوية تميز بين سبب الآفة، ومظهرها، ونتيجتها، ووسيلة علاجها، فالعجب مثلاً يبدأ برؤية العمل، ويظهر في استثقال النصيحة أو احتقار المقصرين، وينتهي إلى قسوة القلب، ويعالج بتذكر فضل الله واستحضار التقصير.

هذا التفصيل لا يغير جوهر قراءة البوطي، بل يجعلها أكثر قابلية للإفادة في برامج التعليم والتزكية. فالمحكم في الدراسات المعاصرة لا يكتفي بوجود المفهوم، بل يبحث عن علاقاته الداخلية ومعايير تطبيقه وحدوده. والذي أراه أن الحاجة إلى هذا التفصيل تمثل استكمالاً منهجياً لا اعتراضاً على أصل الشرح؛ فالبوطي يضع الأساس، وتبقى مهمة الباحث أن يحوله إلى أدوات تحليلية أكثر ضبطاً.

٣.٧.المطلب الثالث

المجاهدة والذكر والصحبة بوصفها آليات للتزكية

لا يكتفي البوطي بتحديد أمراض النفس، بل يقرر أن علاجها يكون بالمجاهدة والذكر والصحبة وملازمة الشريعة. والمجاهدة ليست عنفاً ضد النفس، بل حملها

(١) اخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الوحي، باب بدء الوحي، رقم الحديث ١، ج١، ص٦ .

(٢) سورة البقرة: ٢٨٦.

على ما يصلحها ومقاومة ما يفسدها: {وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ}[١]، فالآية تربط المجاهدة بالهداية، مما يجعل العمل التربوي شرطاً في انكشاف الطريق.

أما الذكر فهو عند البوطي ليس ترديداً آلياً، بل تجديد للصلة بالله، وحراسة للقلب من الغفلة. قوله تعالى: {الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ}[٢]، والطمأنينة هنا ليست مجرد راحة نفسية، بل استقرار القلب في معرفة ربه، لذلك يكون الذكر جزءاً من نظرية التزكية لأنه يعيد توجيه الوعي إلى الله كلما جذبته الأسباب والحظوظ.

والصحبة الصالحة في شرح البوطي وسيلة لا غاية، فهي تعين الإنسان على رؤية عيوبه، وتخرجه من عزلة النفس، وتربطه بقدوة عملية، غير أن البوطي يحرص على أن تبقى الصحبة ضمن ميزان العلم والشريعة، فلا تتحول إلى تبعية عمياء. وهذا الضبط بالغ الأهمية في زمان تتكاثر فيه الشخصانيات الدينية، وتختلط التربية بالهيمنة النفسية أحياناً.

وتكتمل هذه الآليات بحسن الخلق. فالتزكية التي لا تظهر في الرحمة والصدق والتواضع وكف الأذى ناقصة، وقد قال النبي (صلى الله عليه وسلم): "وخالق الناس بخلق حسن"[٣] ومن هنا فإن التزكية عند البوطي ليست عزلة وجدانية، بل بناء أخلاقي يظهر في علاقة الإنسان بالناس. وهذا يلتقي مع مقصد الحكم العطائية في نقل السالك من الدعوى إلى التحقق.

٨.المبحث الرابع

القراءة التحليلية النقدية لأثر شرح الحكم في تشكيل ملامح نظرية التزكية

١.٨.المطلب الأول

مواطن القوة في الشرح البوطي

أول مواطن القوة في شرح البوطي أنه يرد التزكية إلى أصلها الشرعي. فلا يترك الحكم معلقة في فضاء ذوقي، بل يصلها بالقرآن والسنة، ويجعل مقام الإحسان إطارها الأعلى. وهذا يمنح الشرح قابلية أكبر للقبول في البيئة العلمية الشرعية، لأنه يقدم السلوك بوصفه علماً خادماً للشريعة لا بديلاً عنها.

المزية الثانية أنه يعالج أمراض المتدين لا أمراض الغافل فقط. فكثير من الخطاب الوعظي يخاطب البعيد عن الدين، أما الحكم العطائية في قراءة البوطي فتخاطب الملتزم الذي قد يقع في العجب والادعاء والاغترار. وهذه إضافة مهمة؛ لأن أخطر أمراض المجتمعات المتدينة ليست دائماً ترك الشعائر، بل فساد المقاصد داخل الشعائر. ولهذا فإن الشرح يصلح لتربية طلاب العلم والدعاة، لا عامة الناس فقط.

المزية الثالثة أنه يوازن بين العمل والرحمة، وبين المجاهدة والافتقار، وبين الظاهر والباطن. وهذه

---

(١) سورة العنكبوت: ٦٩.

(٢) سورة الرعد: ٢٨.

(٣) اخرجه الترمذي في كتابه الجامع الكبير سنن الترمذي، أبواب البر والصلة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب ما جاء في معاشرة النـــاس، ١٩٨٧، ج٤، ص٣٥٥.

الموازنة من أهم خصائص التربية السنية. فالإنسان لا يترك العمل بحجة الفقر إلى الله، ولا يعتمد على العمل بحجة امتثال الأمر. ولا يذيب الشريعة في الباطن، ولا يفرغ الشريعة من روحها. هذا التوازن هو الذي يسمح باستخلاص ملامح نظرية متماسكة من الشرح.

والمزية الرابعة أن لغة البوطي تجمع بين العمق والوضوح، فهو لا يكتب بلغة رمزية مغلقة، ولا بلغة أكاديمية جافة. وهذا ساعد على نقل الحكم من نخبة المتصوفة إلى جمهور أوسع من طلاب العلم والمثقفين. ويؤكد ذلك انتشار دروسه المسجلة وفهرستها ضمن علم السلوك والتزكية[١].

٢.٨.المطلب الثاني

حدود النظرية ومواطن الحاجة إلى الاستكمال

مع قوة الشرح، فإن الحديث عن "نظرية" عند البوطي يحتاج إلى حذر منهجي، فالبوطي لم يكتب كتاباً بعنوان نظرية التزكية، ولم يرتب عناصرها ترتيباً نسقياً كاملاً، بل جاءت المادة موزعة تبعاً لترتيب الحكم. ولذلك فإن النظرية هنا مستخرجة بالتحليل، لا مصرح بها في صورة بناء منهجي مستقل. وهذه نقطة يجب تثبيتها حتى لا يقع البحث في مبالغة غير محكمة.

ومن الحدود أيضاً أن الشرح يغلب عليه أحياناً الطابع الدفاعي عن التصوف السني، وهذا مفهوم بسبب السياق الجدلي الذي عاش فيه البوطي، لكنه قد يجعل بعض المواضع مشغولة بدفع الشبهة أكثر من بناء المفهوم. والبحث العلمي يحتاج إلى تجاوز الدفاع إلى التصنيف: ما مراتب التزكية؟ ما أدواتها؟ ما علاماتها؟ ما عوائقها؟ كيف تقاس تربوياً؟ ما صلتها بتكوين الشخصية؟ هذه الأسئلة ليست غائبة تماماً، لكنها ليست مصاغة في جهاز واحد.

ومن الحدود كذلك أن البوطي لا يدخل كثيراً في المقارنة المنهجية مع شروح الحكم الأخرى، مثل ابن عجيبة وزروق والشرقاوي، ولو فعل ذلك لظهر بوضوح أين يضيف الشرح الحديث، وأين يكرر، وأين يعيد الصياغة، لذلك يوصي هذا البحث بأن تكون الدراسات اللاحقة مقارنة لا وصفية، وأن تقرأ البوطي إلى جانب الشروح الكلاسيكية لتحديد خصوصية قراءته.

ومع ذلك، فهذه الحدود لا تسقط قيمة المشروع؛ بل تحدد طريقة الإفادة منه، فالشرح البوطي مادة تأسيسية قوية، لكن تحويلها إلى نظرية أكاديمية يحتاج إلى عمل إضافي يقوم على جمع المفاهيم، وتصنيفها، ومقارنتها، وربطها بمباحث التربية والأخلاق ومقاصد الشريعة، ثم اختبار مدى صلاحيتها لتفسير مشكلات التدين المعاصر. والذي يبدو لي أن الإنصاف العلمي يقتضي قراءة هذه الحدود بوصفها مجالاً للبناء على منهج البوطي، لا مدخلاً للتقليل من أثره في إعادة وصل العلم بالسلوك.

(١) ينظر: شرح الحكم العطائية: علم السلوك والتزكية، موقع نسيم الشـــام، تاريخ الزيارة: ٢٠٢٦/٦/١٣م.

٣.٨.المطلب الثالث

أثر ملامح النظرية في ترشيد التدين المعاصر

أهمية شرح البوطي لا تقف عند الدرس الصوفي، بل تمتد إلى ترشيد التدين المعاصر. فالمسلم المعاصر قد يعاني من تضخم المعلومات وضعف التزكية؛ يعرف كثيراً، ويناقش كثيراً، لكنه لا يحاسب نفسه بما يكفي. وقد يعاني من تحويل الدين إلى هوية صراعية أو صورة اجتماعية أو محتوى إعلامي. في هذا السياق تعيد الحكم العطائية بشرح البوطي السؤال إلى الداخل: ما موقع القلب من العمل؟ وما صلة الإخلاص بالخطاب؟ وهل يقود التدين إلى العبودية أو إلى تثبيت صورة الذات؟.

وتفيد هذه النظرية في إصلاح التعليم الشرعي أيضاً. فطالب العلم يحتاج إلى فقه وأصول وحديث وتفسير، لكنه يحتاج كذلك إلى تربية تحميه من العجب والمراء واحتقار المخالف. وقد قال النبي (صلى الله عليه وسلم): "لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه"[١]، فالعلم الذي لا يثمر رحمة وإنصافاً يحتاج إلى مراجعة تزكوية. ومن هنا يمكن إدخال محاور من شرح الحكم في برامج إعداد الدعاة والمدرسين.

كما تفيد النظرية في معالجة الانفصال بين العبادة والأخلاق. فكثير من الناس يقيس تدينه بكثرة الشعائر الفردية، ولا ينتبه إلى أثرها في الصدق والأمانة والرحمة. والبوطي، عبر الحكم، يذكر بأن صدق العبودية يظهر في تهذيب النفس لا في زخرفة الصورة. قوله تعالى: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ}[٢]، وهذه الأخوة ليست شعاراً اجتماعياً، بل ثمرة قلب زكي لا يستبيح أذى الناس باسم الدين.

غير أن تفعيل هذه الملامح النظرية في الواقع يحتاج إلى احترازين: الأول، ألا تتحول التزكية إلى خطاب يبرر الانسحاب من واجبات الإصلاح الاجتماعي؛ والثاني، ألا تتحول إلى سلطة نفسية يمارسها المربي على المريد بغير علم ولا رقابة. فإذا روعيت هذه الاحترازات، أمكن أن يكون شرح البوطي للحكم رافداً في بناء تدين متوازن يجمع بين الانضباط الشرعي، والحضور الروحي، والتواضع العلمي، والمسؤولية الأخلاقية. والذي أرجحه أن إمكان الإفادة المعاصرة من منهج البوطي مشروط بهذا التوازن؛ لأن التزكية حين تنفصل عن الشريعة تتحول إلى ذوق منفلت، وحين تنفصل عن إصلاح القلب تتحول إلى شكل بلا روح.

٩.الخاتمة

بعد هذه القراءة التحليلية النقدية يمكن القول إن شرح محمد سعيد رمضان البوطي للحكم العطائية يمثل محطة مهمة في تجديد خطاب التزكية في العصر الحديث، فقد تلقى نصاً تراثياً مكثفاً، وأعاد بيانه بلغة تجمع بين التأصيل الشرعي والتحليل التربوي، فحوله

(١) اخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب: من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه، رقم الحديث ١٣، ج١، ص١٢.

(٢) سورة الحجرات: ١٠.

من عبارة موجزة إلى قاعدة في إصلاح القلب والسلوك، ولم يكن أثره في مجرد تقريب ابن عطاء الله إلى القارئ المعاصر، بل في إبراز إمكان استخراج ملامح نظرية تزكوية سنية تنطلق من التوحيد، وتلتزم بالشريعة، وتكشف أمراض التدين الخفية.. الخ، ومن أهم النتائج والتوصيات التي توصلنا إليها هي ما يلي:-

أولاً :اهم النتائج:

١. خلصت الدراسة إلى أن التزكية في قراءة البوطي ليست مبحثاً وجدانياً مضافاً إلى البناء الشرعي، ولا علماً موازياً له، بل هي البعد المقاصدي الذي يكشف عن ثمرة التكليف في القلب والسلوك. فصحة العمل في هذا التصور لا تكتمل بمجرد استيفاء صورتها الظاهرة، وإنما بقدر ما تورث صاحبها صدق العبودية، وانكسار النفس، واستقامة المقصد.

٢. بيّنت الدراسة أن شرح البوطي للحكم العطائية أعاد إنتاج النص العطائي ضمن أفق تربوي معاصر؛ إذ نقل الحكمة من كثافتها الإشارية إلى قابلية التحليل والاستنباط، وربطها بمشكلات المتدين الواقعية. وبذلك لم يبق الشرح مجرد بيان لغوي أو وعظ روحي، بل صار مدخلاً لتكوين وعي تزكوي منضبط بالشرع ومستنير بتشخيص النفس.

٣. أظهرت الدراسة أن ملامح نظرية التزكية عند البوطي تقوم على ترابط داخلي بين التوحيد والافتقار وتصحيح النية ومجاهدة النفس والذكر والصحبة وحسن الخلق. وهذه العناصر لا تعمل في خط متجاور أو مفكك، بل تتساند لتأسيس مسار تربوي يبدأ بتصحيح تصور العبد عن ربه، وينتهي بإصلاح علاقته بنفسه وبالناس وبالعمل الصالح.

٤. كشفت الدراسة أن نقد البوطي للاعتماد على العمل يمثل محوراً مركزياً في رؤيته التزكوية؛ لأنه ينقل المتدين من الاغترار بالإنجاز الديني إلى شهود فضل الله تعالى. فالمشكلة ليست في العمل الصالح ذاته، بل في تحوله إلى مصدر خفي للثقة بالنفس أو للمفاضلة على الخلق، وهو ما يجعل التزكية شرطاً لحماية الطاعة من آفاتها الداخلية.

٥. تبيّن أن أصالة شرح البوطي تظهر في تركيزه على أمراض المتدين من الداخل، مثل العجب، والدعوى، وحب الظهور، والمراء، والاغترار بالطاعة. وهذه الأمراض لا تكشفها المعايير الشكلية للتدين دائماً، ولا تعالجها المعرفة الفقهية وحدها، بل تحتاج إلى محاسبة مستمرة، وتربية للقصد، وربط دائم بين العلم والعمل والخشية.

٦. انتهت الدراسة إلى أن موقف البوطي من التصوف موقف تقويمي لا موقف تبريري مطلق ولا موقف إلغائي متعجل. فهو يثبت الحاجة إلى علم السلوك بوصفه علاجاً لأمراض القلب، لكنه يرفض في الوقت نفسه الانفلات الذوقي، والدعاوى غير المنضبطة، وكل ممارسة تصادم أصول الشريعة. ومن ثم يقدم نموذجاً للتصوف السني المنضبط لا للتدين العاطفي المنفلت.

٧. أبرزت الدراسة أن البوطي يتعامل مع الحكم العطائية بوصفها نصاً صالحاً لبناء التربية لا للاستهلاك الوعظي العابر؛ فالحكمة عنده لا تقف عند إثارة الانفعال الديني، بل تؤسس لمراجعة عميقة للعلاقة بين الإرادة الإنسانية، والتدبير الإلهي، ومقامات العبودية. وهذا ما يمنح الشرح قيمة معرفية وتربوية تتجاوز حدود الشرح التقليدي.

٨. أكدت الدراسة أن استعمال مصطلح "نظرية" في هذا البحث ينبغي أن يفهم على جهة الاستخراج والتركيب لا على جهة الادعاء بأن البوطي صاغ نسقاً اصطلاحياً مكتملاً. فالمادة التي يقدمها شرحه تتضمن مفاهيم وعلاقات ومحاور قابلة للبناء النظري، غير أنها تحتاج إلى مزيد من التنظيم والمقارنة والتحرير المفهومي حتى تستوي في صورة نظرية تزكوية مكتملة. والذي أراه أن هذه الصياغة تحفظ للبحث اتزانه؛ فهي لا تنسب إلى البوطي ما لم يصرح به، لكنها لا تهدر ما في شرحه من انتظام مفهومي قابل للتأصيل.

٩. خلص البحث إلى أن القيمة المعاصرة لمشروع البوطي تكمن في قدرته على ترشيد التدين في زمن تضخم المعرفة الدينية وتراجع أثرها التربوي. فهو يذكّر بأن كثرة المعلومات، وقوة الخطاب، واتساع الحضور الاجتماعي لا تكفي ما لم تصحبها مراقبة للقلب، وتواضع علمي، ورحمة بالخلق، وتحويل للعبادة من صورة فردية إلى أثر أخلاقي واجتماعي.

١٠. خلصت الدراسة إلى أن إمكان الإفادة المعاصرة من شرح البوطي للحكم العطائية لا يتحقق بمجرد نقل عباراته أو تكرار مضامينه الوعظية، بل من خلال تحويل رؤيته إلى إطار تربوي منضبط يجمع بين مراقبة القلب، والالتزام بالشريعة، والمسؤولية الأخلاقية في الواقع. وهذا يؤكد أن التزكية عنده ليست انسحاباً من الحياة، بل ترشيداً للفاعل الديني حتى لا يتحول العمل الشرعي إلى صورة بلا روح أو خطاب بلا أثر.

ثانياً :اهم التوصيات:

١. توصي الدراسة بتوسيع البحث المقارن بين شرح البوطي وشروح الحكم العطائية الأخرى، ولا سيما شروح ابن عجيبة وزروق والشرقاوي، للكشف عن مواضع الاشتراك والاختلاف في بناء مفهوم التزكية، وتمييز الخصوصية المنهجية للبوطي ضمن الامتداد السني العام.

٢. توصي الدراسة بتحرير المفاهيم المركزية في خطاب التزكية، مثل الافتقار، ومجاهدة النفس، والإخلاص، والصحبة، والذكر، تحريراً اصطلاحياً يربطها بأصولها القرآنية والحديثية، حتى لا تبقى التزكية خطاباً وعظياً عاماً أو تجربة وجدانية غير قابلة للضبط العلمي.

٣. توصي الدراسة بإدماج البعد التزكوي في مناهج التعليم الشرعي وإعداد الدعاة، لا بوصفه مبحثاً جانبياً، بل بوصفه ضابطاً مقاصدياً يحمي المعرفة الشرعية من الجفاف، ويربط الفقه والعقيدة والسلوك بثمرة أخلاقية وتربوية ظاهرة.

٤. توصي الدراسة بتوجيه عناية بحثية خاصة إلى معالجة أمراض التدين المعاصر في ضوء منهج البوطي، مثل العجب، والتدين الشكلي، وحب الظهور، وخطاب الخصومة؛ لأن هذه الآفات تكشف الحاجة إلى تزكية ناقدة تعيد بناء العلاقة بين العلم والعمل والخشية.

٥. توصي الدراسة بالعناية النقدية الإيجابية بالتصوف السني المنضبط، من خلال إبراز قيمته في إصلاح القلب والسلوك، مع تحرير حدوده الشرعية والمعرفية من الانفلات الذوقي أو التوظيف السلطوي، بما يحفظ للتزكية وظيفتها الإصلاحية المتوازنة.

المصادر

القرآن الكريم:

١. الجامع الصحيح، البخاري، محمد بن إسماعيل، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ١٤٢٢هـ.

٢. الجامع الكبير، سنن الترمذي، محمد بن عيسى، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٨م.

٣. سنن أبي داود، أبو داود، سليمان بن الأشعث، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، د. ت.

٤. صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د. ت.

٥. ابن عطاء الله السكندري، عبد الحليم محمود، دار المعارف، القاهرة، د. ت.

٦. إحياء علوم الدين، الغزالي، أبو حامد، دار المعرفة، بيروت، د. ت.

٧. إيقاظ الهمم في شرح الحكم، ابن عجيبة، أحمد بن محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، د. ت.

٨. تاج العروس الحاوي لتهذيب النفوس، ابن عطاء الله السكندري، أحمد بن محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، د. ت.

٩. تاج العروس من جواهر القاموس، الزبيدي، محمد مرتضى، تحقيق: جماعة من المحققين، دار الهداية، د. ت.

١٠. التعريفات، الجرجاني، علي بن محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٣م.

١١. التنوير في إسقاط التدبير، ابن عطاء الله السكندري، أحمد بن محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، د. ت.

١٢. جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي، عبد الرحمن بن أحمد، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وإبراهيم باجس، مؤسسة الرسالة، بيروت، ٢٠٠١م.

١٣. الجهاد في الإسلام: كيف نفهمه؟ وكيف نمارسه؟، البوطي، محمد سعيد رمضان، دار الفكر، دمشق، د. ت.

١٤. الحكم العطائية: شرح وتحليل، البوطي، محمد سعيد رمضان، دار الفكر، دمشق، ٢٠١٩م.

١٥. الحكم العطائية، ابن عطاء الله السكندري، أحمد بن محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، د. ت.

١٦. الرسالة القشيرية، القشيري، عبد الكريم، تحقيق: عبد الحليم محمود ومحمود بن الشريف، دار المعارف، القاهرة، د. ت.

١٧. الرعاية لحقوق الله، المحاسبي، الحارث بن أسد، تحقيق: عبد الحليم محمود، دار المعارف، القاهرة، د. ت

١٨. صيد الخاطر، ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي، تحقيق: حسن المساحي سويدان، دار القلم، دمشق، د. ت.

١٩. الكليات، الكفوي، أبو البقاء، تحقيق: عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، د. ت.

٢٠. اللامذهبية أخطر بدعة تهدد الشريعة الإسلامية، البوطي، محمد سعيد رمضان، دار الفكر، دمشق، د. ت.

٢١. لسان العرب، ابن منظور، محمد بن مكرم، دار صادر، بيروت، د. ت.

٢٢. لطائف المنن في مناقب الشيخ أبي العباس المرسي وشيخه أبي الحسن، ابن عطاء الله السكندري، أحمد بن محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، د. ت.

٢٣. اللمع، السراج الطوسي، أبو نصر، تحقيق: عبد الحليم محمود وطه عبد الباقي سرور، دار الكتب الحديثة، مصر، د. ت.

٢٤. مقاييس اللغة، ابن فارس، أحمد بن فارس، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، بيروت، ١٩٧٩م.

٢٥. منهج الحضارة الإنسانية في القرآن، البوطي، محمد سعيد رمضان، دار الفكر، دمشق، د. ت.

٢٦. هذا والدي: القصة الكاملة لحياة الشيخ ملا رمضان البوطي، البوطي، محمد سعيد رمضان، دار الفكر، دمشق، د. ت.

٢٧. ابن عطاء الله السكندري وحكمه الصوفية: كتاب الحكم، ناسيروف، إ. ر، مقالة منشورة، ٢٠١٨م.

٢٨. التربية الروحية عند محمد سعيد رمضان البوطي، بوناب، عصام إبراهيم، وطسطاس، عمار، مجلة المعيار، مج ٢٦، ع ٦٦، ٢٠٢٢م، ص ٣٧٩-٣٩٩.

٢٩. الدين والدولة في سوريا: علماء السنة من الانقلاب إلى الثورة، بيريه، توماس، مطبعة جامعة كمبردج، كمبردج، ٢٠١٣م.

٣٠. العالم الإسلامي والقائد الديني: الشيخ محمد سعيد رمضان البوطي، كريستمان، أندرياس، ضمن كتاب: الإسلام والحداثة: مثقفون مسلمون يستجيبون، تحرير: جون كوبر ورونالد نتلر ومحمد محمود، آي بي توريس، لندن، ١٩٩٨م.

٣١. العالم الإسلامي والقائد الديني: صورة لمحمد سعيد رمضان البوطي، كريستمان، أندرياس، مجلة العلاقات الإسلامية والمسيحية، مج ٩، ع٢، ١٩٩٨م.

٣٢. العالم الإسلامي والقيادة الدينية: صورة لمحمد سعيد رمضان البوطي، أندرياس كريستمان، مجلة "الإسلام والعلاقات الإسلامية والمسيحية"، الصادرة عن دار نشر روتليدج ، المجلد والعدد: المجلد ٩، العدد ٢ (Vol. 9, No. 2).، تاريخ النشر: عام ١٩٩٨م.

٣٣. الفكر الصوفي ومنهجه عند محمد سعيد رمضان البوطي من خلال كتابه "هذا والدي"، الدكتور عبد اللطيف بن رحو، مركز فاطمة الفهرية للأبحاث والدراسات، وجدة، المغرب، ٢٠٢٢م.

٣٤. منهج التزكية عند محمد سعيد رمضان البوطي، شوقي، ليلى، الصديق للعلوم، دمشق، ٢٠١٨م.

المواقع الإلكترونية:

١. الحكم العطائية: شرح وتحليل، موقع دار الفكر، صفحة تعريفية بالكتاب، تاريخ الاطلاع: ٢٠٢٦/٦/١٣م.

٢. السيرة الذاتية لمحمد سعيد رمضان البوطي، موقع نسيم الشام، صفحة إلكترونية، تاريخ الاطلاع: ٢٠٢٦/٦/١٣م.

٣. شرح الحكم العطائية: علم السلوك والتزكية، موقع نسيم الشام، صفحة إلكترونية، تاريخ الاطلاع: ٢٠٢٦/٦/١٣م.

٤. العلّامة الشهيد محمد سعيد رمضان البوطي: السيرة الذاتية، موقع نسيم الشام، تاريخ الزيارة: ٢٠٢٦/٦/١٣م.

٥. مبعوث القرون الأولى، محمود الحلاق، موقع نسيم الشام، المكتبة مقالات عن الإمام البوطي، تاريخ النشر الأصلي على الموقع: ١٩ مارس ٢٠١٧م، تاريخ الزيارة: ٢٠٢٦/٦/١٣م.

Sources

The Holy Quran:

.1Al-Jami' al-Sahih, by al-Bukhari, Muhammad ibn Isma'il, edited by Muhammad Zuhair ibn Nasir al-Nasir, Dar Tawq al-Najat, 1422 AH.

.2Al-Jami' al-Kabir, Sunan al-Tirmidhi, by Muhammad ibn Isa, edited by Bashar Awad Ma'ruf, Dar al-Gharb al-Islami, Beirut, 1998 CE.

.3Sunan Abi Dawud, by Abu Dawud, Sulayman ibn al-Ash'ath, edited by Muhammad Muhyi al-Din Abd al-Hamid, al-Maktabah al-'Asriyyah, Beirut, n.d.

.4Sahih Muslim, by Muslim ibn al-Hajjaj, edited by Muhammad Fu'ad Abd al-Baqi, Dar Ihya' al-Turath al-'Arabi, Beirut, n.d.

.5Ibn Ata' Allah al-Iskandari, by Abd al-Halim Mahmud, Dar al-Ma'arif, Cairo, n.d.

.6Ihya' 'Ulum al-Din, by al-Ghazali, Abu Hamid, Dar al-Ma'rifah, Beirut, n.d.

.7Iqaz al-Himam fi Sharh al-Hikam, by Ibn 'Ajibah, Ahmad ibn Muhammad, Dar al-Kutub al-'Ilmiyyah, Beirut, n.d. T.

.8Taj al-'Arus al-Hawi li-Tahdhib al-Nufus (The Crown of the Bride Containing the Refinement of Souls), by Ibn 'Ata' Allah al-Iskandari, Ahmad ibn Muhammad, Dar al-Kutub al-'Ilmiyya, Beirut, n.d.

.9Taj al-'Arus min Jawahir al-Qamus (The Crown of the Bride from the Jewels of the Dictionary), by al-Zubaydi, Muhammad Murtada, edited by a group of scholars, Dar al-Hidayah, n.d.

.10Al-Ta'rifat (The Definitions), by al-Jurjani, 'Ali ibn Muhammad, Dar al-Kutub al-'Ilmiyya, Beirut, 1983.

.11Al-Tanwir fi Isqat al-Tadbir (The Illumination in Removing the Reliance on Planning), by Ibn 'Ata' Allah al-Iskandari, Ahmad ibn Muhammad, Dar al-Kutub al-'Ilmiyya, Beirut, n.d.

.12Jami' al-'Ulum wa al-Hikam (The Collection of Sciences and Wisdom), by Ibn Rajab al-Hanbali, 'Abd al-Rahman ibn Ahmad, edited by Shu'ayb al-Arna'ut and Ibrahim Bajis, Mu'assasat al-Risalah, Beirut, 2001.

.13Al-Jihad fi al-Islam: Kayfa Nafhamuhu? wa Kayfa Namasarihu? (Jihad in Islam: How Do We Understand It? And How Do We Practice It?), by al-Buti, Muhammad Sa'id Ramadan, Dar al-Fikr, Damascus, n.d.

14. Al-Hikam al-'Ata'iyya: Explanation and Analysis, by Muhammad Sa'id Ramadan al-Buti, Dar al-Fikr, Damascus, 2019.

.15Al-Hikam al-'Ata'iyya, by Ahmad ibn Muhammad Ibn 'Ata' Allah al-Iskandari, Dar al-Kutub al-'Ilmiyya, Beirut, n.d.

.16Al-Risalah al-Qushayriyya, by 'Abd al-Karim al-Qushayri, edited by 'Abd al-Halim Mahmud and Mahmud ibn al-Sharif, Dar al-Ma'arif, Cairo, n.d.

.17Al-Ri'ayah li-Huquq Allah, by al-Harith ibn Asad al-Muhasibi, edited by 'Abd al-Halim Mahmud, Dar al-Ma'arif, Cairo, n.d.

.18Sayd al-Khatir, by 'Abd al-Rahman ibn 'Ali Ibn al-Jawzi, edited by Hasan al-Masahi Suwaydan, Dar al-Qalam, Damascus, n.d.

.19Al-Kulliyat, by Abu al-Baqa' al-Kafawi, edited by 'Adnan Darwish and Muhammad al-Masri, Mu'assasat al-Risalah, Beirut, n.d.

.20Non-Madhhabism: The Most Dangerous Innovation Threatening Islamic Law, by Muhammad Sa'id Ramadan al-Buti, Dar al-Fikr, Damascus, n.d. 21. Lisan al-Arab, Ibn Manzur, Muhammad ibn Mukarram, Dar Sader, Beirut, n.d.

.22Lata'if al-Minan fi Manaqib al-Shaykh Abi al-Abbas al-Mursi wa Shaykhihi Abi al-Hasan, Ibn Ata Allah al-Iskandari, Ahmad ibn Muhammad, Dar al-Kutub al-Ilmiyya, Beirut, n.d.

.23Al-Luma', Al-Siraj al-Tusi, Abu Nasr, edited by Abd al-Halim Mahmud and Taha Abd al-Baqi Surur, Dar al-Kutub al-Haditha, Egypt, n.d.

.24Maqayis al-Lughah, Ibn Faris, Ahmad ibn Faris, edited by Abd al-Salam Muhammad Harun, Dar al-Fikr, Beirut, 1979.

.25Manhaj al-Hadara al-Insaniyya fi al-Qur'an, Al-Buti, Muhammad Sa'id Ramadan, Dar al-Fikr, Damascus, n.d.

.26Hatha Walidi: Al-Qissa al-Kamilah li-Hayat al-Shaykh Mulla Ramadan al-Buti, Al-Buti, Muhammad Sa'id Ramadan, Dar al-Fikr, Damascus, n.d.

.27Ibn Ata Allah al-Iskandari wa Hikamuh al-Sufiyya: Kitab al-Hikam, Nasirov, I. R, published article, 2018.

.28Spiritual Education in the Thought of Muhammad Sa'id Ramadan al-Buti, by Bounab, Issam Ibrahim, and Tastas, Ammar, Al-Mi'yar Journal, Vol. 26, No. 66, 2022, pp. 379-399.

.29Religion and the State in Syria: Sunni Scholars from Coup to Revolution, by Perrier, Thomas, Cambridge University Press, Cambridge, 2013.

.30The Muslim World and the Religious Leader: Sheikh Muhammad Sa'id Ramadan al-Buti, by Christmann, Andreas, in Islam and Modernity: Muslim Intellectuals Respond, ed. John Cooper, Ronald Netler, and Muhammad Mahmoud, I.B. Tauris, London, 1998.